انما يعني التقهقر والتدهور ، في نظر هولاء المقاتلين الذين يسعى الشيخ بشير الجميل على التعبير عن « ضميرهم المتأجج » وامكانية « التحول تدريجيا الى ضمير رافض » .

ولقد اتقن الاعلام الانعزالي ، وخصوصا في اذاعة الكتائب وفي الجرائد « المحلية » الصادرة باسم تنظيمات صغيرة ، كيفية نشر الخوف الدائم لدى الجمهور المسيحي العريض . ولا ينصب الخوف والجزع دائما على احداث مشخصة ، وانما ينشران في حالات كثيرة « لذاتهما » ، فيبقى مفعول التحريض ضاغطا دائما على المتلقين . فالخوف من هجوم وشيك لجيش التحرير الفلسطيني على جبل لبنان مثلا ، ابقى قسما من ابناء الجبل في حالة من الهلع طوال اشهر كاملة ولا سيما في مطلع الحرب سنة ١٩٧٥ ، خصوصا لكثرة ما يستمعون الى عبارة « جيش التحرير » ومعها عبارات « المخربين » و « الابوات » و « الارهابيين » ، تتكرر في الاذاعة الكتائبية ، وغيرها من وسائل الاعلام الانعزالية . وبالتالي فان الخوف من اجتياح فلسطيني ويساري و « اسلامي » من شانه ان يجعل الناس مستعدين لتأييد كل ما يصدر عن الكتائب وحلفائها . والخوف من ان ينتزع « الغرباء » ارزاق هؤلاء السكان وبيتهم ، يجعلهم مستعدين لتقديم الدعم المالي للاحزاب « المنقذة » وذلك باعتبار ان التضحية بالجزء هي امر لا بد منه لاجل انقاذ الكل !

ويقول علماء النفس ان المتلقي الذي يعيش في هذه الدوامة ليلا نهاراً ولفترات طويلة ، كثيراً ما يعود به الذهن الى أشكال بدائية من الولاءات الغيبية ، وفقدان القدرة على التفكير النقدي . كما ان التحريض المعتمد على التخويف المستمر يراد منه تعزيز حاجة المواطن الى الاثارة المرتبطة بالخوف . والاعتياد على الخوف هو عنصر أساسي في قبول المغامرات الانتحارية ؛ وهذا ما أثبتته تجربة الدول الامبريالية في مغامراتها « الانقاذية » في أماكن مختلفة من العالم .

هذا مع العلم بأن القائمين على التحريض لا يكشفون ، عادة ، جذور الخوف وأسبابه الحقيقية . كما يرفضون استخدام كلمات محددة ومن النوع الذي يسهم في العودة الى الواقع . فكل حادثة صغيرة يقوم بها مسلح فلسطيني أو يكون على علاقة بها ، يجري تصويرها وكأنما قوات الفدائيين ومعهم سوريا والعراق والصومال وكوبا وروسيا والصين .. كلهم يتآمرون وكلهم يريدون ابتلاع لبنان وابتلاع المنطقة !

ولا حاجة الى القول بان الاعتماد على الامثلة التاريخية يعطي فائدة كبيرة في الوصول الى ترسيخ القناعة بوجود الخطر المخيف . وفي « مذكرة لشرح الوضع في لبنان » صدرت عن جامعة الروح القدس (الكسليك) في عام ١٩٧٦ ، جاء وصف حماسي لسلسلة الجبال اللبنانية التي لا تبعد كثيرا عن شاطىء البحر المتوسط ، والتي كانت دائما ملجأ وملاذا للاقليات الهاربة من الاضطهاد . واول طائفة التجأت الى هذه القمم الجبلية كانت طائفة الموارنة ، تلامذة مار مارون ، وقد توافدوا اليها في هجرتين متتاليتين : الاولى في القرن السادس للميلاد والثانية بعد الفتح العربي لسوريا حوالى منتصف القرن السابع .

وتنطلق المذكرة من هذه اللوحة الدرامية لتصل الى اسس قيام « الصيغة اللبنانية » : انها سبب وجود لبنان ، ولبنان هو كناية عن اقليات جمعت بينها ارادة التعايش واحترام القيم